

التباين الخلقى

وتأثير الإرادة والذكاء والشعور فيه

فلا نجد توافقاً بين ميول الناس وتزواتهم وما يحتضنون لا تقسمهم من الاغراض والغايات بل نرى فيها فروقات واضحة تتميز بمضمم عن بعض ولو ضمهم وطن واحد أو بيعة واحدة أو عائلة واحدة . لقد يكون للابوين أربعة اولاد مثلاً تربوا كلهم تربية واحدة على ايدي اساتذة وفي بيئات واحدة او متشابهة وبالرغم من وحدة البيعة ووحدة وسائل التربية والتعليم نجد عند كل منهم ميولاً خاصة به يختلف فيها عن ميول اخوته في كل شيء . فواحد يميل الى الاعمال الجدية يتفق فيها قراءه وحياته ويلتزم بما يتحمله في سبيلها من كد أو نصب أو ألم ويهزأ بكل ما يقف امامه من المضاعب والمخاطر والاعمال ويعمل على تدليلها واحدة بعد اخرى ويتميز بذلكه وفكره فيستبسط ويحتجج ويكشف سبب وراء ما تصبو اليه تنه من المطالب التي لاجلها تم وتشط وعمل . وآخر نراه على العكس من الاول يميل الى المزهو والاشياء الثابتة التي لا تقدم ولا تؤخر ويتفق شبابه وعمره فيها الى ان يموت ضمير شاعر حياته مذاقاً ولا طعماً ولا شعراً به الناس ولا هو شاعر بهم فتشعب من الدنيا كأنه لم يك فيها يوماً من الاحياء . وثالث يميل الى الشعر او الادب او العلم او الفلسفة ويسطر بذلكه على العقول فيجلبها ، والارواح فيذكيبها ، والاخلاق فيهزئها ويرفها ، ويغيره وطمهته يشعل ثورة فكرية متجهة في وطنه يجدد بها شبابه ويبحث فيه روحاً جديدة تستهويه لاستثمار عقول بنيه الى مجارة الام الحية الراحلة في استغلال كنوز الارض والتعج بالآلاء الله ونعمه الكثيرة التي جعلها شامكاً حلالاً لمن أدرك من عبود سر السعي والنشاط والاقدام والتفنن في التفكير والامتنباط والاختراع والاحكار . ورابع يكتمني بالقليل من الرزق ليشده به رقبته ويدفع عنه سببه ويطلق جماله ولا يكاد يني بحاجته اذا مسه المرض او اقعده نقبات الدهر وتصرفات الحدثان . وجملاً جراً من مختلف الميول التي لا تمد ولا تحصى والتي تتناقض وتتناثر وتتباعد في قدراتها ومدى نتائجها وعواقبها وغراتها بتناقض ما يصادفه صاحبها من الظفر او القهر من الفجاء او الخيبة ومن الثراء او الفاقة ومن الراحة او العذاب . فيشتاق الناس بالضرورة لمحنة طل هذا التباين الخلقى العظيم الشائع المشاهد بين نبي البشر

﴿ الإرادة ﴾ ورأى أن هذا يرجع الى الإرادة . هذه الإرادة التي خلقها الله فينا لتكون بين اعضاء اشيائنا تشبه الاشياء بالملك الذي يمس وعيانه اما بالحكمة واما بالجبروت وهي بطبيعتها قابلة للتطور بل هي اشبه الاشياء عند بداية العمر بالورقة البيضاء نقبل كل ما يكتب فيها من صالح او طالح من ضار او نافع ومن طهر او رجس . ولا اجد أظهر لوصف تطورها من قول البوصيري :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان نطقه ينظم
فكما في الارض بوابل المطر تحب الارادات وتتمو وتكبر بالثريه والتهديب والتعلم
وتأثر بمؤثرات عديدة اهمها المادة والدكاء والشعور . ولما كانت السادات الشائسة بين
الناس مختلفات اختلاف الذكاء والشعور في ارواحهم قوة وضعفاً كان من الصعب اتحاد
الارادات اتحاداً كاملاً بالمعنى الصريح المفهوم من الكمال وان اتفقت على شيء معين او
شيئاً او مذهب او دين او معتقد او خطة . اذ من البديهي ان الاتفاق على شيء محدود
لا يقيد الاتحاد فيما عدا هذا الشيء المحدود المتفق عليه

فازادة توجه باعتقادها الى العلم فتوليه ايمانها وتهذب كل حقيقة لا تأتي عن غيره
كالدين مثلاً . و ارادة لا تؤمن الا بتلك الحقائق التي اعتبرها كذلك الدين الذي
تدين هي به وتبذره اذا هوجاه عن دين آخر لا تؤمن به او لانه جاء عن ظم او فلسفة
او اكتشاف موافق لها تطوع براهينه . و ارادة مترددة لا تؤمن لا بالعلم ولا بالدين
ولا باي شيء آخر ونقول عن كل شيء انها لا تدبره وانها قد يجوز وقد لا يجوز وهكذا
وارادة قوية و ارادة ضئيلة و ارادة متوسطة بين القوة والضعف و ارادة ثابتة
و ارادة متحركة و ارادة حاكمة و ارادة محكومة خاضعة لارادة الآخرين سواء كان فرداً
او مجزئاً و ارادة صريحة مطلقة حرة و ارادة مقيدة وهكذا من مختلف المثارب والطبائع
عما تشاهده في البيئة التي تعيش فيها اذ نراه او نسمع عنه في رجال امثالنا او الامم الاخرى
هؤلاء كانوا او غير هؤلاء حاملين او غير حاملين

﴿ الذكاء ﴾ وامن فرد بلغت ارادته ما بلغت من القوة والعظم الا كان له كائنه
وشعوره والنقل في تكوينها وتطورها الى ما قد يكون فيه . هذا ومن حسن حظ الانسان
ان ذكائه غير محدود لا في نألقه ولا في سيره الى الامام . قد ترقله بعض الطوارئ
الناجمة اما عن مرض او ضغط استبدادي تعطله او تعيق سيره فيكون ذلك الى حين .
يكون ذلك الى ان يستعيد صحته او يقوى على رفع اليد المستبدة الطاغية الظالمة التي لا

نقدر ما يحتاج اليه ذكاء الافراد من اغرية للقيام بما اعدم الله له من الرقي في مسارج
المصلحة العامة والخير العام اذا تضافروا وتعاونوا عليه فيها بينهم

فهذا الشباب اطلال الدائم الذي وجبه الله للذكاء الانساني يتجدد من حسن حفظ العالم
الانساني جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر وفي اقوام بعد اقوام بطريق التوارث والتوالي
الى ما لا نهاية له . ولتجدد يتجدد الحضارات والمدنيات على الارض ويتسع نطاقها
ونطاق ممارقتها وعلومها ومخترعاتها واكتشافاتها على الدوام والاستمرار الى ان تم بقاع
الارض ويكون لها في النهاية ما يوقف الشرور عند حد محدود تصار فيها الارواح من
الاذى وتنصرف الى مناشدة السلم العام تصل اليه بتغيير الانظمة الدولية الزاهنة المحضنة
بمخترق الضمائم واستبدالها بتبهرها مما يكفل للجميع عيشة مستطاعة فيها يتلون شيئاً من
الزهد بقدر الامكان . ولا يظن ان الله وهبنا شعوراً مساوياً في كبر وحماسته لشعور
الآخرين فقد يكبر ويسظم عند البعض ويتضاءل ويضمحل عند الآخرين على ما تكون عليه
اعصابهم من القوة او الضعف وبنيتهم من الصحة او الاعتلال ومداركهم من الحرية
والتهديب والتطليم او حرمانها منها كلاً او بعضاً وعواظهم من الخجيب والترامح فيما بينهم

﴿ الشعور ﴾ وكما ان الافراد جوعاً وملاحم تميزهم بعضهم عن بعض كذلك
لكل منهم شعور قائم به يستفزهم الى الخير متى تربوا عليه وخالطوا اهله او الى الشر متى
اعتادوه واعتادوا عشرة الشريرين او القسوة او المظلمين او المفسدين . يتأثرون بشعورهم
هذا فيعملون به سواء في تمثيل الاشياء ان على ما هي عليه وان على غير ما هي عليه ، او في تكوين
الاراء والاحكام صائبة كانت او قريية من الصواب ، طائشة او سدينة ضارة او نافعة
كل بحسب استعداده المادي والادبي و مبلغ ذكائه ونمو اعصابه واتساع معلوماته
واختياره وما تركته في نفسه مؤثرات البيئة والمناخ والطقس والعادات والشرائع
والمعتقدات وما قد يكون فيه من حرية او استبداد ومن علم او جهل
وكل مؤثر من هذه المؤثرات ، قوة لا ريب فيها تختلف باختلاف تأثيرها في النفس
فدفع الى انحاء الشعور او اخضعها الى احيائه او اماتته

وطى هذا الخط وهذا الناسوس لتكون الاراء في قنوسنا وتكون اسبابها وتصدر على
مقتضاها احكامنا في الاشياء التي تحيط بنا والتي نتأثر بها سواء منها امرها او لم يهتنا
بمناسيء وذلك على ما تكون عليه ارادتنا المختلفة من القوة او الضعف كما اسلفنا الكلام
عليه . فلا خرابة حينئذ اذ نرى بونا واختلافنا ما بين رأي ورأي وحكم وحكم . فالنسبة

بين سداد الاراء وقوة الارادة وتأتى ذكائها ثابتة مضمومة لمحمولة دواماً واستمراراً
تبدو كثناموس نظري ينظم حركات الالانس وحياته تنظيمًا منطبقًا على سيره التي
شب عليها يربط جواهر الارادة وتيارات الميول بارجحية الاسباب التي تقدم حركاتنا
الفكرية والعملية . وبقدر ما يكون فيها من نور وذكاء وعلم وخبرة بقدر ما يكون في نلهم
الاراء والافكار والاحكام التي تقررها من صواب وحكمة وعدالة وارجحية . فالنسبة
محمولة في جميع الاحوال بين قوة الارادة او ضعفها وبين صواب الافكار والافعال او
خطئها . وعليه يبدو لنا الانسان حازمًا او مجازفًا ، مدققًا او مغرطًا ، جادًا او هازلًا ،
مقدرًا للحياة او مستخفًا بها يجب ما يكون بارادته من نور وقوة ومضاء وعزم او تكون
محرومة منها . فان كانت ارادته ثابتة على مبادئه القوية عبيدة في مطالبها النبيلة
يتجلى لنا صاحبها كرجل اخلاق خليق بتقديرنا وتمسكنا اما اذا ثقل وتغير فيها وتذبذب
في خطئها او كانت نيته مريبة فاننا نغير رأينا فيه وحكمتنا عليه ومحال ان نسجل اسمه في
قائمة اصحاب الارادات والاخلاق

عثمان مرتضى

بعض الشرائع بنات العقائد

اسباب تفاوت الميراث بين الذكور والاناث

أثبتت في مقالتي السابقة المدرجة في مقتطف مارس الماضي ان بعض العوائد بنات
العقائد وسأوضح في مقالتي هذه ان بعض الشرائع بنات العقائد .
من اهم الشرائع للجنس الانساني شريعتان — الملك وهو اتصال شرعي بين الانسان
وبين شيء يكون مطلقاً تصرفه فيه وحاجزاً من تصرف غيره فيه . والإرث وهو انتقال
الملك من السلف الى الخلف او من القريب الى الاقرب والعقائد سنت حائنين الشريعتين
فبدأ الملك عند الاوائل بخالف لمبادئ الاواخر وبما ان المقدمات متخالفة فالنتائج
متناقضة والشرائع المستتوية ماضياً وحاضراً متباينة فبعض القبائل لم تعرف للاعتلاك
مضى وبعضها قبلت به بعد عتاد شديد وشق المراتر . وما كان سجلاً في بدء المجتمع
للانسان ان يلتصق المرء بارض مدعى انها محصورة به . وحتى الآن تجد قبائل من التركان
والسلاف باراض اسيراة يمتنون المراسي ملكاً والمراعي مباحة — وكان الجرمان
كما ذكر بعض المؤرخين يرفضون بثة امتلاك الاراضي وكانت قبائلهم تزدها بالتناوب